

## دروس في مقياس: علم الدلالة

الدكتور: عمر عليوي

### مدخل

لا بد قبل الحديث عن الدلالة من الحديث عن اللغة، لاسيما أن الدلالة اللغوية هي الأهم و الأوسع و الأكثر تعقيدا، و أنها هي الموضوع الأساسي في علم الدلالة بالإضافة إلى الإشارة إلى أنواع الدلالات الأخرى.

و يمكن القول بإيجاز أن اللغة هي الإنسان أو أن اللغة أهم خصائص الإنسان التي تميزه عن غيره من المخلوقات الحية، و تجعل له هذه المكانة و المهمة التي خلق لها (الخلاقة في الأرض) حتى أننا يمكن أن نعرّف الإنسان بأنه حيوان ذو لغة، و إن كان الإنسان قد تميز بعقله و تفكيره و قابليته للتطور و الرقي و التقدم في الحضارة و العمران، فان ذلك كان بفضل هذه المزية المعجزة ( مزية اللغة) فالله تعالى— كما جاء في كتابه الكريم — " خلق الإنسان، علمه البيان "، " و علم آدم الأسماء كلها" و بغض النظر الآن عن كيفية نشأة اللغة الإنسانية حسب الفرضيات المشهورة فإننا يمكن أن نؤكد أن هذه اللغة للإنسان هي من الضرورات الحيوية التي ما كان للإنسان أن يستطيع الاستمرار و التطور بدونها، و تأتي ترتيبا بعد الهواء و الماء و الغذاء و ذلك نظرا لإمكانيات الإنسان الجسدية الضعيفة التي ما كان قادرا بها لولا اللغة و التفكير و هما مرتبطان، ما كان قادرا على مواجهة قوى الطبيعة الطبيعية و الحيوانية و بالتالي ما كان قادرا على الاستمرار و لكنها حكمة الله و إرادته بأن تستمر الحياة إلى حيث قدّر سبحانه و تعالى لها.

و ليست اللغة في الواقع — و أهم غاياتها تأمين التواصل و الاتصال — ليست الا علاقة بين صورة صوتية ( ألفاظ ) و صورة مفهومية ( معان ) يتم الربط بينهما ذهنيا، فسواء نشأت اللغة ابتداء في صورتها المكتملة أو كانت قفزة نوعية في طرائق الاستدلال و التواصل فهي تعتمد على ربط العلاقة بين الدال و المدلول.

و من هنا كان الاهتمام بالدلالة، و علم الدلالة غاية عند الأصوليين و المناطقة و اللغويين (طبعاً) و علماء النفس.....

و كان لهذا العلم علاقة بكل هذه العلوم (الإنسانية) بل إن للدلالة علاقة بكل أنواع المعرفة و في شتى مجالات الحياة.

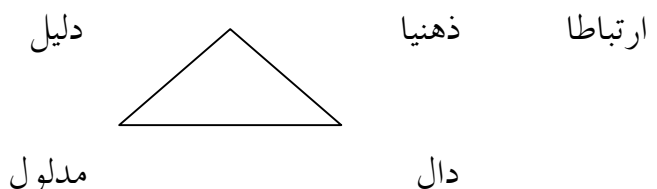
## علم الدلالة - مدخل نظري

### تعريف علم الدلالة.

العلم هو دراسة ظاهرة معينة و الوقوف على ماهيتها و جزئياتها و ما يتعلق بها دراسة موضوعية، و الدلالة (بالتعريف) قد يختلف تعريفها بين الباحثين و لنأخذ مثالا لتعريفها من كتاب التعريفات للجرجاني السيد الشريف حيث قال: الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر و الأول هو الدال و الثاني هو المدلول . و هي إما دلالة مطابقة أو دلالة تضمن أو دلالة التزام و كل ذلك يدخل في الدلالة الوضعية لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة و على جزئه بالتضمن و على ما يلزمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فانه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، و على جزئه بالتضمن و على قابل العلم بالالتزام (انظر كتاب التعريفات للجرجاني علي بن محمد- الدار التونسية للنشر 1971 ص 55-56)

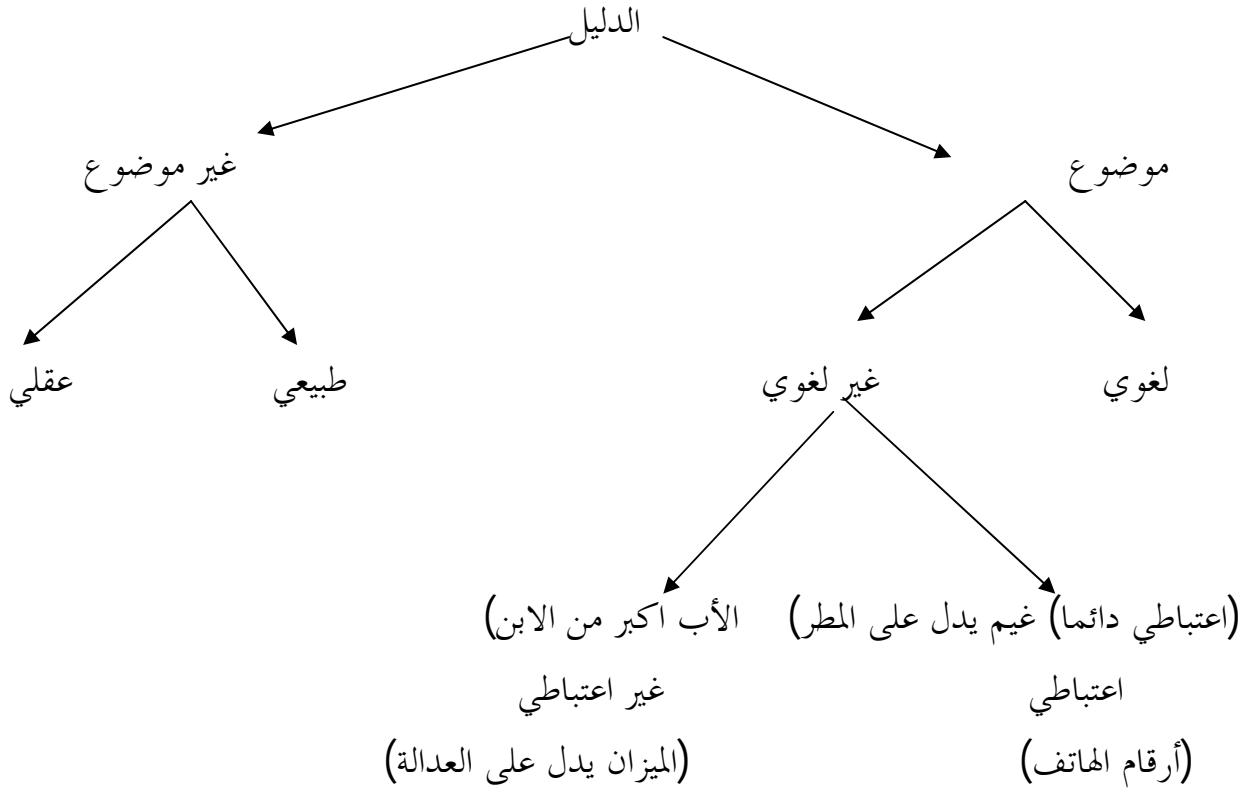
و في القاموس المحيط دلّه عليه دلالة ( و يثلث ) و دلولة فاندل: سدده إليه.....(الفيروز أبادي- القاموس المحيط- دار العلم للجميع- بيروت ج/3 ص 377)  
إن الحديث عن الدلالة الوضعية هنا يدفعنا إلى الحديث عن نوعي الدلالة أو الدال و هما الدال اللغوي و الدال غير اللغوي.

و في الدراسات اللسانية الحديثة تقسيم لأنواع (الدليل) الذي ينتج عن ارتباط الدال بالمدلول



فالدال اللغوي (اللفظ/ الكلمة/ الوحدة الدالة) في رأي الباحثين بغض النظر عن بعض الاستثناءات هو دال وضعي اعتباري أي أن علاقته بالمدلول علاقة عرفية تواضعية (و ستأتي على تفصيل ذلك على حينه)

أما التقسيم فيبينه الشكل البياني التالي:

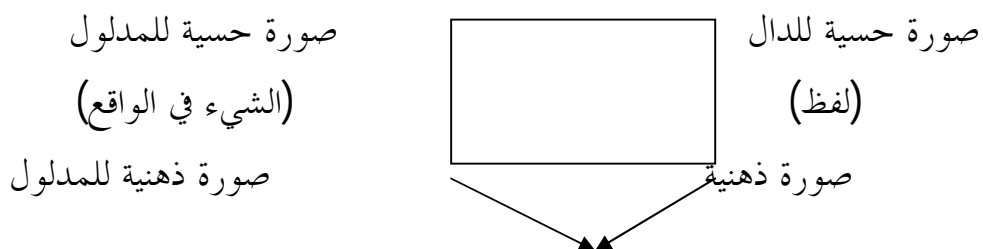


هذا و قد أشار الزمخشري في كتابه (المفصل) إلى هذه الاعتبائية (الوضع) عندما عرف الكلمة بقوله: (الكلمة هي اللفظ الدال على معنى مفرد بالوضع).

و بالعودة إلى (الدلالة) في اللسانيات الحديثة (البنوية) فعند سوسور هناك دال (لفظ) و هناك مدلول (معنى) أو مفهوم و الدال و المدلول وجهان لورقة واحدة و لا يمكن الفصل بينهما/ و إن تحليل الدال يؤدي إلى تحليل المدلول (ينظر: سوسور، دروس في الألسنية العامة- ترجمة صالح القرماذي و محمد الشاوش و محمد عجينة، ص 174).

و للتأكيد على أن الدلالة تتم من الارتباط الذهني بين الدال و المدلول فقد أوضح تلاميذ سوسور هذه العلاقة من خلال ما يعرف بمربع سوسور للدلالة حسب الشكل التالي :

مربع سوسور للدلالة

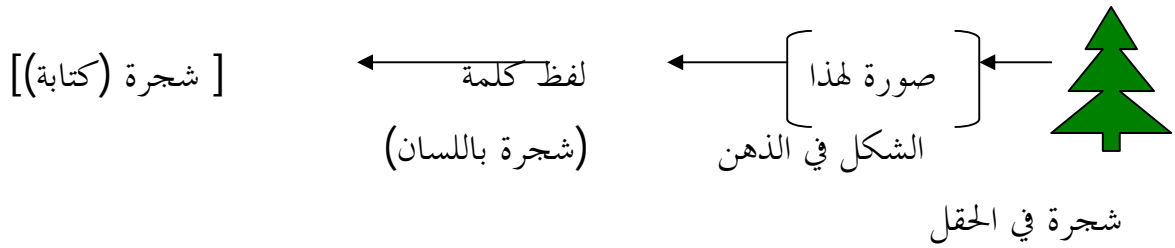


## للدال الدلالة

لأن سوسور يبدو أنه حصر عناصر الدلالة في الدال و المدلول ، و أهمل الموضوع وهو الشيء أو المرجع الذي تحيل اليه العلاقة الدلالية ، و هو في ذلك يلتقي - في هذه الثنائية - مع ابن سينا الذي حصرها بين اسم (مسموع) و معنى، في حين يرى (بيرس) أن العلاقة ثلاثية: الصورة (الدال) و المفسرة (المدلول) و الموضوع، و هو ما تحيل إليه العلامة، أي الشيء.

أما الغزالي فيرى أن الأشياء لها أربعة مراتب عندما قال " ان للشيء وجودا في الأعيان ثم في الأذهان ثم في اللفظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ ، و اللفظ دال على المعنى الذي هو في النفس ، و الذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان.

(عن مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية العدد/2، 1993 ص 34).



شجرة في الحقل

مفهوم علم الدلالة و موضوعه.

للحديث عن علم الدلالة (sémantique) و موضوعه أو لتوضيح ذلك ، لابد من تحديد علاقة علم الدلالة بعلم اللغة وذلك باعتبارين الأول: أن يكون علم الدلالة فرعا من فروع علم اللغة (اللسانيات) ، و الثاني أن يكون علم اللغة (الدلالة اللغوية على الخصوص) فرعا من علم الدلالة أو علم العلامات الذي يطلق عليه مصطلح (العلامية) أيضا. فموضوع العلامية (العلامات و الإشارات و الأدلة بمفهومها الواسع لغوية كانت أم غير لغوية و هذا ما ذهب اليه اللساني السويسري (سوسور).

و اذا بدأنا بالاعتبار الأول (كون علم الدلالة فرعا من اللسانيات) لابد من العودة إلى مستويات البنية اللغوية و هي على الشكل التالي: ( للملاحظة ) هناك من لا يدخل المستوى البلاغي والمستوى الدلالي في هذه المستويات).

المستوى الدلالي	المستوى البلاغي / علم البلاغة و الأسلوب
	المستوى النحوي / علم النحو و التراكيب
	المستوى الصرفي / علم الصرف
علم الدلالة	المستوى الصوتي / علم الأصوات

و هنا نلاحظ أن المستوى الدلالي في هذا البناء هو مستوى يتقاطع مع جميع المستويات الأخرى ، لأن الدلالة حاضرة و ناتجة عن تفاعل كل هذه المستويات، حتى المستوى الصوتي الذي يقال أنه مستوى الوحدات غير الدالة . وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا التقسيم هو تقسيم نظري افتراضي، فاللغة تعمل لأداء مهمتها وفق نظام اللغة الذي يندمج فيه كل هذه الأنظمة. فعلى مستوى العمل و الأداء ليس هناك مستويات منفصلة ، و إنما التقسيم إلى هذه المستويات لضرورة البحث و التحليل و الدراسة اللغوية. فالمتكلم الذي يتكلم وفق نظام اللغة (اللسان) لا علاقة له بهذه المستويات التي لها أنظمة خاصة بها.

- على أية حال يبدو لنا في هذا التحليل أن علم الدلالة الذي يبحث في أحد تلك المستويات هو فرع من علم اللغة أو اللسان.

- أما بالاعتبار الثاني فيظهر لنا في المستوى الأدائي أن علم اللغة (الدلالة اللغوية) هو أهم عناصر علم العلامات ، إلى جانب عناصر دلالية أخرى غير لغوية، و أن العناصر اللغوية هي المعول عليها في الاتصال الذي يقوم أساسا على فهم العلاقة بين الدال و المدلول . بل أن اللغة حاضرة دائما في كل فروع الدلالة لغوية كانت أم غير لغوية.

و إذا كنا سنولي اهتمامنا للدلالة اللغوية (الدليل اللغوي) دون التفصيل في الأدلة غير اللغوية (عدا إشارات فقط، و بما أننا نستعمل مصطلحات مثل ( لغة، لسان، كلام) فلا بد من محاولة تحديد مفهوم هذه المصطلحات ، و إن كانت متداخلة أحيانا في أذهان الناس بل و في أذهان الطلبة و الباحثين في علوم اللغة.

و قد لا نحتاج هنا إلى التفاصيل التي تدرس في علم اللغة أو اللسانيات و لكن يمكن أن نوضح هذه المفاهيم بما يلي:

- من الشائع بين اللسانيين أن مادة علمهم ليست الكلام و لا اللسان و إنما هي اللغة (ينظر عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسيه في اللسانيات ص 168) .

و يلاحظ هنا أن هناك ثلاثة مصطلحات لثلاثة مفاهيم ، و كلها تمثل ما يسمى بالظاهرة اللغوية التي ترتقي من (الكلام) و هو كلام الأفراد كما نسمعه أو نحادثهم فيه و هذه هي المرتبة الفردية و هذا الذي يمكن أن نسجله على آلة التسجيل، ثم تأتي مرتبة (اللسان) و تتطابق مع منزلة الوجود النوعي و هو الاشتراك في معرفة ما يتم التحاور به ضمن كل مجموعة لغوية (اللسان العربي أو الانجليزي أو الصيني)

أما مرتبة اللغة فهي تتطابق مع جملة من القوانين التي إن أطلقت صدقت على كل لسان من الألسنة البشرية (المرجع السابق ص170).

و هنا تبدو اللغة أعم من اللسان، و تدرس من خلال ما يسمى باللسانيات العامة مقابل اللسانيات الخاصة التي تدرس نظام كل لسان بشري على حدة.

و في سياق آخر يذكر أن اللسان أعم من اللغة مع إمكان استعمال كل مصطلح لمفهوم الآخر. و الحقيقة أن الظاهرة اللغوية تستوعب المفاهيم الثلاثة السابقة (الكلام، اللسان، اللغة) فاللغة (لغة الناس/ البشر) و اللسان (لسان الجماعة اللغوية) و الكلام (كلام الأفراد).

اللغة مفهوم كلي و اللسان مفهوم نمطي و الكلام مفهوم انجازي (السابق ص 172)، اللغة جنس، اللسان نوع، الكلام شخص.

اللغة (صورة القانون) ، اللسان ( نموذج العرف)، الكلام (نموذج السلوك).

إن اللساني يدرس البنية اللغوية في جوانبها الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدلالية ثم يعمل على كشف ارتباط هذه البنية بوظائفها الاجتماعية.

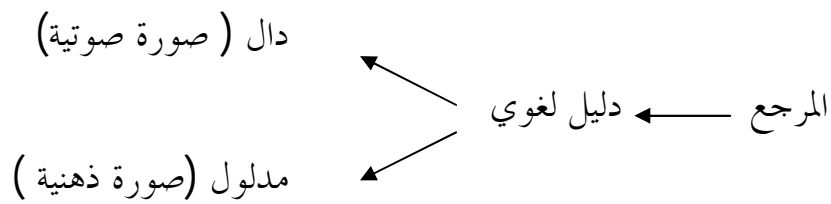
بعد هذا يظهر لنا أن موضوع علم الدلالة هو الأدلة بشكل عام و الدليل اللغوي بشكل خاص ، و علاقة الدوال بمدلولاتها و يتفق عدد كبير من الباحثين على أن السيمياء كنوع من اللسانيات كان من أثر اللغوي الفرنسي بريال (1883)، باعتبار أن هذا العلم يدرس الدلالات و القوانين التي تتحكم في تغير المعاني أو أن الموضوع هو المعنى. ( ينظر سالم شاكر : مدخل إلى علم الدلالة

، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1992—ص4 )

أما غاية هذا العلم فهي خاصة و عامة، فالغاية الخاصة هي أن علم الدلالة – مثل أي علم آخر- يسعى إلى الاستقلالية و امتلاك الأدوات و المناهج الرياضية ، و هنا ينبغي الإشارة إلى الاهتمام بهذا العلم حيث ظهر في عام 1923 كتاب عنوانه (the meaning of meaning) لمؤلفيه Richards و Ogden. و أما الغاية العامة فههدف علم الدلالة كغيره من العلوم الإنسانية – و بالاستعانة بها و بالتعاون معها – هو الإسهام في ترقية الحياة الإنسانية في جميع المجالات، و تسهيل عملية الاتصال و التعاون و التفاهم المشترك و ضبط المصطلحات و المفاهيم في جميع العلوم لاسيما في العلوم الحديثة و وسائل الاتصال و خاصة في محيط العولمة و التقارب ، إن لم نقل الاندماج الفكري على الأقل بين الأمم و الشعوب.

و كان أحد الباحثين قد حدد هدف علم الدلالة الإجرائي بأنه حصر صور الأوضاع الدلالية كأنظمة قابلة للتحليل ( ينظر بوجراند: النص و التطبيق و الإجراء).

لكن دوسوسير يتصور الدليل اللغوي كيانا ذهنيا مكونا من دال هو الصورة الصوتية و مدلول هو المفهوم الذي يتصوره الإنسان لذلك الشيء الخارجي، أي الموجود خارج ذهن الإنسان والذي ندرج فيه كل الأشياء المادية والمعنوية التي تحيط بنا و نسميه المرجع أو المدلول عليه. فالدليل اللغوي إذن يتكون عندما يريد الإنسان الحديث عن المرجع ( الشيء ) فيبحث في نظامه التقديري عن المفهوم الذي ينطبق على ذلك المرجع وقد تعلمه وورثه عن أفراد مجتمعه ، وسمى المدلول أو ( الصورة الذهنية ) . ثم يعبر عنه بصورة صوتية وهي ( التصور الذهني للأصوات الذي يتم في ذهن الإنسان ) وهنا تتم عملية تكوين الدليل اللغوي ، ويمكننا التمثيل له بالشكل التالي :



أما عن ميزات الدليل اللغوي فهي :

أ – الاعتباطية: ( arbitraire ) أي لا يوجد في اللفظ ما يدل حتما على معناه ، ونعطي لذلك مثلا توضيحيا كلمة شجرة.

فلو كانت الشين مثلا تدل على الأوراق والجيم على الساق والراء على الأغصان لقلنا بطبيعية العلاقة و حتميتها، لكن، بما أن الأمر عكسي فنقول بأنها علاقة اعتباطية وضعية ناتجة عن التواضع

والاتفاق بين بني البشر. والدليل على ذلك اختلاف اللغات ففي اللغة العربية نستعمل — مثلا — كلمة ( كرسى ) للدلالة على شيء معين، في حين يستعمل الناطق باللغة الفرنسية كلمة ( chaise ) للدلالة على الشيء ذاته، فأى الأصوات من الكلمتين تدل على المعنى أكثر من الأخرى ؟

**ب — الخطية:** (liniaire) بما أن الركيزة المادية للدليل اللغوي هي الصوت فإنه يتسلسل عند إحداثه تسلسل الزمن في خط واحد أفقي يسمى مدرج الكلام ، مثلا كلمة ( صدق ) التي تنطق حروفها متسلسلة ص+د+ق وإذا تغير التسلسل ق+ص+د تغير المعنى.

### علاقة علم الدلالة بعلوم اللغة

كنا في المحاضرة السابقة قد بينا العلاقة المتبادلة بين علم الدلالة (العلامية) و علم اللغة (اللسانيات) حيث أنهما علاقة عموم و خصوص أو كل و جزء. و قد ذكرنا أن علم الدلالة — كغيره من العلوم — ، يعتمد أساسا على اللغة كأداة في كل ما يتعلق بهذا العلم ، و نبين بعد ذلك بشيء من التفصيل علاقة (الدلالة) بعناصر (مستويات) البنية اللغوية بافتراض استقلالية هذه العناصر نظريا فقط. و بشكل عام ينصرف مفهوم علم الدلالة إلى الدلالة اللغوية.

### أولا: علاقة علم الدلالة بالأصوات (المستوى الصوتي).

مازلنا نذكر حين حديثنا عن المستوى الصوتي أن الأصوات [ الحروف / (حروف البناء)] وحدات غير دالة ، و هي القطع الصوتية الصغرى التي تتشكل منها بجمع بعضها إلى بعض الوحدات الدالة (الكلمات). هذه القطع الصوتية الصغيرة التي تظهر في التقطيع الثاني عند البنويين الوظيفيين (مارتينيه). و هنا يجب أن نشير إلى أن هناك ما يسمى بالوحدات الدلالية التي هي أقل من الكلمة و تتمثل في (المورفيم المتصل) مثل السوابق و اللواحق و الضمائر المتصلة بل أن هناك وحدة دلالية أقل من المورفيم ، مثلا دلالة الحركات على تاء الفاعل ( كتبت ، كتبت ، كتبتما .. ) أنظر أحمد مختار عمر ص34.

هذه الأصوات في الواقع تدرس من جانبين. الجانب الأول : هو من حيث طبيعتها الفيزيائية — الفيزيولوجية، و الجانب الثاني: من حيث وظيفتها (الدلالية) في بنية الكلمة أو الوحدة الدالة و لذلك صار للأصوات علمان أحدهما: علم التصويت و الثاني : علم وظائف الأصوات، حيث



تدرس وظائف هذه الأصوات من خلال التقابلات الثنائية التي تظهر القيمة الدلالية أو المعنوية للصوت بالاشتراك مع أصوات أخرى.

فالفرق الدلالي بين قال و مال جاء من التقابل بين (ق) و (م).

و تبدو علاقة الدلالة بالأصوات جلية هنا. و هناك كلمات يتغير أحد أصواتها و لا تتغير دلالتها مثل: الصراط مقابل السراط. و السقر، و الزقر، و الصقر، و هذا ما يسمى كفيات أو وجهات أداء. و لا بد من الإشارة أيضا إلى أن هناك من يرى أن الصوت (الحرف) الواحد منفردا له قيمة تعبيرية (دلالية) خاصة به.

و قد ذهب عدد من الباحثين إلى هذا الرأي و من هؤلاء ابن جني ت 392هـ. الذي أورد في كتابه الخصائص عددا من العناوين و الأمثلة التي تؤكد قناعته بهذا الرأي، من ذلك تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني. و باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني. فالصوت (الحرف) مفردا أو مركبا يحمل قيمة دلالية في ذاته، و ليس ذلك بغريب على ابن جني الذي لم يخف ميله إلى النظرية التي ترى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعة، فهذا المذهب عنده وجه صالح و متقبل.

و هناك أمثلة كثيرة غايتها تأكيد القيمة التعبيرية (الدلالية) للحرف الواحد، مركبا في الكلمة من ذلك: نضح و نضح، قال تعالى " فيها عينان نضاختان " و بما أن النضح أقوى من النضح فقد جعلوا الحاء لرققتها للماء الضعيف، و الحاء لغلظها لما هو أقوى منه، و كذلك: قضم و حضم، فالقضم للصلب اليابس و الحضم للرطب. و كان أحمد بن فارس (توفي 395هـ) قد وضع معجما سماه: (مقاييس اللغة) و فيه كل جهده لاستنباط الصلات بين الألفاظ و دلالاتها، و لكنه غالى و تكلف، كما فعل ابن جني.

و لم يكن علماء العرب و حدهم الذين يعتقدون بهذه القيمة التعبيرية للأصوات (الحروف)، فمن المحدثين الغربيين (جسيرسن) الذي يلخص آراء المحدثين في الصلة بين الألفاظ و الدلالات فتعرض لمقال (همبلت) الذي يزعم أن اللغات بشكل عام تؤثر التعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الأذن يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان، و هذا ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ و معانيها، و إن كان يرى أن هذه الصلة كانت في البداية، و لكنها تطورت حتى أصبحت العلامة غامضة.

و كان جسر سن يضرب بعض الأمثلة عن المناسبة الطبيعية، من ذلك أن طائرا في أوروبا يسمى (كوكو) فهو يصيح فيصدر صوتا هو - كوكو - .

ويمكن أن تمثل لهذا كذلك بكلمة الصفق و هو الصفع على الوجه، و هو ما يشبه الصوت الصادر عن ذلك.

و من مظاهر الدلالة الصوتية (النبر) فالنبر و الاعتماد بقوة أو الضغط على مقطع ما أو كلمة ما يجعل لها معنى خاصا . وفي لغات أخرى يحدد موضع النبر نوع الكلمة ، اسما أو فعلا .

و من مظاهر الدلالة الصوتية كذلك، النغمة الكلامية ففي اللغة الصينية قد يكون للكلمة الواحدة عدة معان يفرق بينهما النغمة.

و مثال ذلك في العربية قولنا : (هكذا) فقد تكون بمعنى الاستفهام إذا كان المتكلم يريد الاستفسار عن كيفية عمل شيء ، و قد تكون للشجب و الاستنكار، و قد تكون للإقرار و الإخبار.

و مما يتعلق بهذه الدلالة الصوتية ما ذكر من أن بعض اللغات تعبر عن الأصول المختلفة للفعل ، أي لحدوث الفعل من الفاعل بكلمات إضافية تدل من حيث الإيقاع الصوتي على تلك الحالة أو الكيفية، من ذلك ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ) من أن لغات وسط إفريقيا أن الفعل الذي يدل على مطلق المشي هو (zo) :

ZO KA KA : و يمشي منتصبا :

ZO DES DES : يمشي بنشاط و حماس :

ZO TYA TYA : يمشي بسرعة :

ZO BOHO BOHO : يمشي متناقل :

( ارجع إلى ص 70/69 من هذا الكتاب / مكتبة الأنجلو المصرية ط/5/1984 )

### علاقة الدلالة بعلم الصرف (الدلالة الصرفية).

بالرجوع إلى المستوى الصرفي من مستويات البنية اللغوية نذكر أن عناصر هذا المستوى هي (المفردات أو الكلمات أو الوحدات الدالة) التي تنشأ من جمع الأصوات (الوحدات غير الدالة) بصورة اعتباطية (مع التحفظ هنا على هذه الاعتباطية) ليكون لدينا وحدات لها دلالة مفردة (بالوضع) كما ذكر الزمخشري في كتابه (المفصل). هذه الوحدات ذات الدلالة المفردة تأخذ

أشكالاً صرفية مختلفة و هي التي تسمى الصيغ الصرفية ، و لكل صيغة دلالة معينة بالإضافة التي دلالة المادة الصوتية التي تتشكل منها. فـالأسماء و الأفعال و الأوصاف (المشتقات المختلفة) دلالة إضافية تحدها الصيغة. فـلكل فعل من الأفعال (الماضي، المضارع و الأمر) و بصورها المختلفة (المجردة و الزيدة ) هيئة صرفية تدل على المعنى أو على جزء من المعنى . مثل: فعل، يفعل، افعل، استفعل، تفاعل.....و كذلك فاعل، مفعول، مفعل، مفعول، مفعول، مفعول، مفعول.

و قد تدل صيغة واحدة على عدة معان يحددها السياق، مثل صيغة اسم الفاعل و المفعول. (مختار) ، بضم الميم ، المتحولة من البنيتين العميقتين: مختير و مختير، بفتح الياء في الأولى و كسرهما في الثانية ، و من ذلك الصيغة التي تدل على اسم الزمان و المكان و اسم المفعول و المصدر الميمي (مسعى) على وزن مفعول ، و من ذلك أيضا : الفعل ضاع يضيع ، التي تدل على الظهور و الاختفاء و ندرك ذلك بالرجوع إلى المضارع: ضاع يضيع و ضاع يضيع ، و كذلك رام يروم و يريم (حلمي خليل مقدمة لدراسة فقه اللغة ص 182).

إن علم الصرف الذي يدرس هذه الصيغ (هذه الوحدات) التي تعد من المفردات على الرغم من أنها قد تتألف من أكثر من وحدة دالة حسب مبدأ تحديد الوحدات الدالة بناء على المعنى، أقول إن علم الصرف هنا يتقاطع مع علم الدلالة لأن الأصل في تصريف الصيغة الأولى إلى صيغ مختلفة الحاجة إلى الدلالات المختلفة التي نحتاج إليها ضمن النظام اللغوي لتؤدي اللغة وظيفتها بشكل كامل و دقيق.

### الدلالة و علم التراكيب (الدلالة النحوية).

يقول الجرجاني عبد القاهر في كتابه المشهور (دلائل الإعجاز في علم المعاني) : (إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها و لكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد ..... ) (دلائل الإعجاز ص353).

إن ما يقال من أن الوحدات الدالة في المستوى الصرفي تتشكل من تجمع لعناصر من الوحدات غير الدالة (الأصوات) دون صدور ذلك عن نظام عقلي (إن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط....) (انظر دلائل الإعجاز ص353). (مع التحفظ على ذلك). فان ذلك لا ينطبق على تشكيل الجمل من الوحدات الدالة و إنما يتم ذلك بالتألف بين هذه الوحدات فيأتلف بعضها و لا يأتلف بعضها الآخر، كما يذكر الجرجاني نفسه في كتابه الجمل (اعلم أن الواحد من الاسم و

الفعل و الحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا (.....) يسمى كلاما ويسمى جملة ( الجمل ص107) .

و على هذا تكون الإفادة ليس معنى المفردات في حد ذاتها . و هو ما يوضحه في قوله السابق في الدلائل.

و إنما الإفادة هنا في هذا المستوى (مستوى التراكيب) أو المستوى النحوي هو تعريف المخاطب (بفتح الطاء) و إبلاغه بالعلاقات النحوية أو ما يسمى بمعاني النحو، و هو المعنى الاسنادي الذي يربط بين الوحدات داخل التركيب فيفهم من الذي قام بالفعل أو اتصف بالوصف و على من وقع هذا الفعل، و مع ترابط عناصر التركيب بما في ذلك الملحقات مثل الحال و التمييز و غيرها، حيث يوضع كل عنصر في موضعه المناسب لصحة المعنى، وإلا لن يفهم المخاطب ، بفتح الطاء ، (السامع) أي معنى مع أنه من المفترض أنه يعرف المعاني المفردة للألفاظ و إنما المعنى المقصود هنا هو معنى النحو، أو الوظائف النحوية. و يرى الجرجاني أن ذلك النظام يقوم على ربط الكلمات ببعضها يقول " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها ، على الوجه الذي اقتضاه العقل (ص35) .

وكان الجرجاني قد ضرب مثلا ببيت امرئ القيس —قفنا نبك من ذكرى حبيب ومترل — فقال ما معناه أننا لو غيرنا ترتيب الكلمات فهل يعني قول امرئ القيس مبينا بعد ذلك . وقد عدّ بعضهم الجملة (التركيب) هي الوحدة الدلالية الأساسية.

وهذا لا يعني —طبعاً— أن المعاني المعجمية (الاجتماعية) بمعزل عن فهم المعنى لأن اللغة تعمل بنظام متفاعل تتداخل فيه المستويات ، و يظهر ذلك عند تشو مسكي فيما يسمى مبدأ السلامة النحوية ، و يضرب لذلك الأمثلة ، فقد يكون التركيب سليماً نحويًا من حيث الإسناد، و لكنه لا يؤدي للمخاطب (بفتح الطاء) معنى صحيحاً مثال ذلك : (شرب الجدار النجمة المؤمنة) . و إنما قد يكون ذلك فيما يسمى باختراقات الشعراء مثل. ( شربتني قهوتي ) .

و إذا كنا قد ركزنا هنا على الجرجاني فلأنه ركز على العلاقة بين النحو و البلاغة أو الإبلاغ و ليس الإبلاغ إلا نقل المعاني و تبادلها بين المخاطب ( بفتح الطاء ) و المخاطب ( بكسر الطاء ) . و من هنا كان لعلم الدلالة علاقة متينة بعلم النحو فليست اللغة إلا مجموعة من العلاقات بين الألفاظ و دلالاتها ، و هذا ما تؤكدته كثير من المذاهب اللسانية الغربية الحديثة.

## الدلالة و علم البلاغة

قد لا يذكر الباحثون في الغالب — أن هناك مستوى في البنية اللغوية يسمى المستوى البلاغي ، لأنه متداخل مع المستوى البلاغي الذي يعتمد التراكيب أو الإسناد أساسا ، و إنما هناك أنواع من التصرف في الكلام قد تجعله بليغا ، و يتفاوت في ذلك المتكلمون ، و مما يشير إلى أن الدلالة البلاغية في سياقها تختلف عن الدلالات الأخرى مع ارتباطها بها أننا لو أخذنا المثال المشهور من التراث اللغوي العربي (كثير الرماد). فالدلالة النحوية هنا لو وقفنا عندها كانت أن شخصا ما عنده الكثير من الرماد (بقايا النار) و قد يكون ذلك للاتباع به أو أن يكون للقدارة و عدم التخلص منه، و لكن في السياق البلاغي تكون دلالة (كثير الرماد) الكرم ..... وهذا الذي سمي عند الجرجاني بمعنى المعنى. و كنا قد ذكرنا أن (أوجدن و ريتشارد) قد ألفا كتابا في عام 1923 بعنوان "معنى المعنى" the meaning of meaning و كان عبد القاهر الجرجاني قد سبق إلى ذلك و إن كان بمجرد إشارة.

هذا بالإضافة إلى علاقة الدلالة بالنص (الدلالة النصية)، إذ أن هناك من يرى أن الوحدة الدلالية هي (atext) . و أن أي امتداد للكلام ابتداء من المورفيم — و ربما دون ذلك — هو وحدة دلالية (انظر: أحمد مختار عمر. علم الدلالة ، عالم الكتب ص 32) علما بأن أبرز وحدة دلالية هي الكلمة لأنها المستوى الأساسي في البنية اللغوية (مستوى الوحدات الدالة) كما كنا قد أشرنا سابقا عند حديثنا عن مستويات البنية اللغوية.

### الدلالة و المعجم: (الدلالة الاجتماعية)

كل كلمة من كلمات اللغة العربية لها دلالة معجمية مستقلة عما توحيه أصواتها أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأصلية أو المركزية أو القاعدية ، و يطلق عليها الدلالة الاجتماعية. و لكن عندما تنتظم الكلمة ضمن الجملة تضاف إلى الكلمة كل الدلالات الأخرى و لا يتم الفهم إلا بالوقوف عليها جميعها.

و أصل المعنى المعجمي هو ما تدل عليه الكلمة من المعنى الوضعي ، و هذا ما أشار إليه الزمخشري عندما قال في كتابه المفصل: " الكلمة هي اللفظ الدال على معنى مفرد بالوضع ". هذا المعنى المرتبط —مبدئيا— بالأصول الصوتية (العربية ثلاثية الأصوات) هو الذي تنطلق منه المعاني الأخرى ، و قد ارتبطت المعاجم العربية القديمة و الحديثة (غالبا) بمبدأ الأصول الثلاثية ، حتى رأى بعضهم (ابن جني) و ربما من قبله (الخليل بن أحمد) : أن المعنى الأصلي يظل مرتبطا بهذه الأصول و لا

يكاد يفارقها حتى و إن تغير ترتيبها في الكلمة الواحدة (الاشتقاق الكبير) — أو حتى لو أبدلنا بها ما يقارها من الأصوات (الاشتقاق الأكبر) و إن كان الذين اعتمدوا هذا الرأي قد تأولوا كثيرا. هذا بالإضافة إلى أن هناك من عدّ المادة الصوتية الأولى في الكلمات اللغة كانت صوتين فقط أو ما يعرف بالمقطع الصوتي القصير المغلق (قط، شد، شك) هذا تاريخيا ثم انتقلت هذه الثنائية إلى المعجم بتضعيف الصوت الثاني (قطّ، شدّ، عضّ) الثلاثي المضاعف و نظرا للحاجة إلى تنويع المعنى أضيف فيما بعد صوت ثالث تنويجا أو حشوا أو كسعا من ذلك قط + ع = قطع - و + ر = قطر، و + م = قطم.....وفج بإدخال صوت في وسطها تصبح فلج أو فرج..... و لعل ما يشير إلى علاقة الدلالة بالمعجم أن هناك معاجم بنيت على أساس المعاني، و سميت معاجم المعاني، و قد كان هذا في التراث اللغوي العربي عندما وضع جامعو اللغة الأول ما يسمى بالرسائل اللغوية المتعلقة بأحد الموضوعات أو المعاني مثل: كتاب الإبل، و كتاب الخيل، و الأنواء و غير ذلك و كما أن هناك الآن معاجم نبحت فيها اعتمادا على اللفظ، فان هناك معاجم أخرى يبحث فيها اعتمادا على المعنى.

### علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى

في الواقع لا يمكن فصل علم الدلالة عن أيّ من العلوم الأخرى، سواء الإنسانية أو الرياضية و الطبيعية، فالعلوم كلها تعتمد الدلالة في جميع مساراتها. بل كل شيء في الحياة و في علاقة الإنسان بما يحيط به من الكون و ما ينشأ عنه من فعاليات يعتمد الدلالة أساسا.

### 1- الدلالة و التعبيرات الاصطلاحية:

إذا كان المعنى النحوي الذي ينشأ من التركيب أو الإسناد هو معنى (دلالة) مختلفة عن دلالة عناصر الإسناد المفردة المعجمية (ارجع إلى ما ذكره الجرجاني)، فان هناك تعابير مركبة (اصطلاحات خاصة) دلالتها غير الدلالة الاسنادية المباشرة التي قد تفهم من التركيب، فهي مستوى ثالث من الدلالة يتكون من عدد من الكلمات أو المورفيمات الحرة كقولنا (البيت الأبيض) الذي يشير إلى مؤسسة إدارية سياسية و ليس إلى بناء أو قصر من حيث الدلالة. و مثل ذلك تعبير (الصحافة الصفراء)، (الباب العالي)، و عندما نقول عندنا (قصر المرادية) و نقصد مؤسسة رئاسة الجمهورية.

و يجب أن نميز بين هذا النوع من التعابير المركبة و بين ما شبهها كقولنا (الدار البيضاء) علما على مدينة إذ أن هذه التسمية لم تزل تشير إلى الأصل فرما كانت هناك دار بيضاء اللون.

## 2- الدلالة و الفلسفة.

من المعروف أن ارتباط الدلالة بالفلسفة و المنطق كان أظهر من ارتباطه بأي علم آخر. بل كان الباحثون لا يفرقون - ربما - بين علم الدلالة و الفلسفة، غير أن علم الدلالة بدأ ينفصل تدريجيا و يدخل بل يتمركز في دائرة العلوم اللغوية بل مازال علماء الفلسفة يدرسون علاقة موضوعاتهم الفلسفية بعلم اللغة، و قد كان فلاسفة اليونان قد اهتموا بهذه العلاقة.

و لعل ما يرد في الدراسات اللغوية من الحدود و التقسيمات ، و من مصطلحات مثل : الخبر و الإنشاء

و اسم الجنس و اسم النوع ، لا ينفك عن علم المنطق، بل أن هناك من المناطقة من اختص بعلم الدلالة و ربما كانت الأمثلة اللغوية المستقلة في المنطق تبين بوضوح مثلا هذه العلاقة مثل:

- كل إنسان فان ← محمد إنسان ← محمد فان
- كل نار لها دخان ← ليس كل دخان يدل على النار.

## 3- الدلالة و علم النفس.

يبحث علم النفس في طريقة اكتساب اللغة، و كيفية التعلم ، و لعل اهتمام علماء النفس بموضوع الإدراك من أبرز ما يربط بين علم النفس و علم اللغة و (منه الدلالة) إذ أن الإدراك ظاهرة فردية و الناس يختلفون في إدراك الكلمات و في تحديد دلالاتها. و يلاحظ أن للغة جوانب نفسية تتغير بتغير الأحوال من فرح و حزن و غير ذلك. و يظهر هذا من خلال كلام المتكلمين.

## 4- الدلالة و علم الاجتماع.

اللغة ظاهرة اجتماعية و حدها كما ذكر ابن جني: " أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "، فهي تعبير عن الأغراض و العادات و التقاليد الاجتماعية ، و علم الدلالة يهتم بحياة الناس و عاداتهم ، و كل ما يتعلق بفعاليتهم الحياتية. بل و تعكس بعض ألفاظ اللغة و تراكيبها نمط التفكير الاجتماعي، من ذلك ما يذكر من أن العرب يقولون رجل للآدمي الذكر البالغ ، و لكنهم لا يقولون رجلة للآدمية الأنثى البالغة .

## علم الدلالة - نظرة تاريخية

عند اليونان: من الطبيعي أن تكون الدلالة من الموضوعات التي يهتم بها الفكر الإنساني منذ القدم. و كان ذلك عند فلاسفة اليونان، فقد رأى أرسطو أن المعنى يتطابق مع التصور الموجود في العقل و ميزين:

1- الأشياء في العالم الخارجي

2- التصورات أو المعاني

3- الأصوات أو الرموز أو الكلمات.

و فتح ذلك الباب لكثير من الأفكار و المناقشات حول الدلالة و المعنى في العصور الوسطى، كما تعرض أفلاطون إلى قضية العلاقة بين اللفظ و المعنى و اتجه إلى أن العلاقة بينهما طبيعية ذاتية. بينما اتجه أرسطو إلى أن هذه العلاقة اصطلاحية عرفية ، أي متواضعة عليها و قام بشرح هذه العلاقة العرفية و بياها.

( ينظر . أحمد مختار عمر ص 17 )

عند الهنود: اهتم الهنود بالتأمل في لغتهم و قاموا بدراستها بدافع ديني للحفاظ على كتابهم المقدس (الفيدا) — و هذا ما يشبه ما كان من أمر العرب عندما درسوا لغتهم. و كان (بانيني) الذي عاش في القرن الخامس و الرابع قبل الميلاد وضع كتابا في السنسكريتية سماه (المثمن) قيل أنه أشبه بكتاب سيويه.

و كان من أهم الموضوعات التي ناقشها الهنود، نشأة اللغة و اكتساب بعض الأصوات لمعانيها و قد كانوا فريقين: أحدهما يرى أن اللغة نشأت بالإلهام ، و الثاني: من اختراع البشر.

كما ناقشوا قضية اللفظ و المعنى فمنهم من رأى أن اللفظ والمعنى لا ينفصلان عن بعضهما ، و منهم من رأى أن العلاقة بين اللفظ و المعنى علاقة فطرية و طبيعية ، و منهم من رأى أن العلاقة بين اللفظ و المعنى علاقة ضرورية لزومية.

و من القضايا التي ناقشوها: أنواع الدلالات للكلمة. و توصلوا إلى أن هناك أربعة أقسام للدلالات : حسب عدد الأصناف الموجودة في الكون و هي (ينظر المرجع السابق ص 19):

1- قسم يدل على مدلول عام (رجل)



2- قسم يدل على كيفية (طويل)

3- قسم يدل على حدث (جاء)

4- قسم يدل على ذات (محمد).

### عند العرب.

قام العرب بدراسة لغتهم لسبب أساسي ديني، يتمثل في المحافظة على لغة القرآن لصحة تلاوته و استخلاص الأحكام و التشريعات منه . و كان للخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة الآيات بشكل غير صحيح أكبر الأثر في النهوض بهذه الدراسة ، لذلك كانت أوائل الأعمال اللغوية المتعلقة بالدلالة بشكل خاص ذات صلة بالقرآن الكريم مثل: معاني الغريب في القرآن الكريم و مجاز القرآن ، بالإضافة إلى معاجم الموضوعات (المعاني) . و معنى ذلك ضبط المصحف الشريف.

و قد تجلت أهم أعمال الدراسيين العرب الدلالية بما يلي:

- عمل ابن فارس في معجمه (المقاييس) بربط المعاني الجزئية بالمعنى العام.

- عمل الرمنشيري في معجمه (أساس البلاغة) للتفريق بين المعاني الحقيقية و المجازية.

- أعمال ابن جني في ربط تقلبات المادة (اللفظة) بمعنى واحد.

هذا بالإضافة إلى أعمال لغوية أخرى ذات صلة بعلم الدلالة.

و لابد من الإشارة هنا إلى ما قام به الأصوليون و علماء الكلام ، و ما ذكروه من: دلالة اللفظ و دلالة المنطوق و دلالة المفهوم.

بالإضافة إلى أعمال البلاغيين في دراسة الحقيقة و المجاز، و نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. كانت هذه فكرة مقتضبة جدا عن الدراسات الدلالية قديما ، و نعرض بعد ذلك إلى تقديم فكرة عن الدراسات الدلالية في العصر الحديث.

وقد عرف الجرجاني السيد الشريف - كما ذكرنا من قبل - الدلالة بقوله:

هي كون الشيء يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، و الأوّل هو الدالّ و الثاني هو المدلول.....

### مباحث علم الدلالة الحديث.

لم تكن الدراسات الدلالية القديمة دراسة علمية حقيقية ، و إنما كانت مثل هذه الدراسة العلمية بمفهوم العلم و مناهج البحث من ثمرة الدراسات اللغوية الحديثة.

و بهذا المفهوم الخاص يمكن القول أن بواكير هذا العمل نشأت في أواسط القرن التاسع عشر هذا و لم تزل الدراسات الدلالية في العصر الحديث تتسع و تستقل في مؤلفات خاصة بالإضافة إلى ما تأخذه من مساحات ضمن إطار الدراسات اللغوية و علم اللغة الذي استوى و تطور في الفترة الأخيرة و كان هناك عدد من الباحثين العرب الذين اهتموا بالسيمياء مثل الدكتور أحمد مختار عمر (و قد اعتمدنا كثيرا على كتابه (علم الدلالة) أثناء إعداد هذه المحاضرات كذلك على كتب الدكتور حلمي خليل و الدكتور إبراهيم أنيس و غير ذلك.

و في الدراسات اللغوية الغربية و اعتبارا من تشومسكي الذي دعا في البداية إلى ضرورة فصل النحو عن المعنى إلا أن عدل عن موقعه بتأثير عدد من اللسانيين الذين أدخلوا المكون الدلالي في التحليل و نذكر على سبيل المثال (ستيفن أولمن) الذي أصدر عددا من الكتب حول دراسة المعنى، منها: أسس علم المعنى ، و دور الكلمة في اللغة.

و في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة ردّ عدد من اللغويين مثل كاتز و فودور الاعتبار إلى المعنى و أدرج المكون الدلالي في التحليل بعد أن كان قد استبعد هذا المكون الذي يقوم بإعطاء تفسيرات دلالية للبنية العميقة.

و كان تشو مسكي الذي عرف بنظرية النحو التوليدي التحويلي ، و الذي طوّر نظريته التي ظهرت في كتابه (البنى التركيبية) عندما أخرج كتابه (مظاهر النظرية التركيبية) كان يدعو إلى فصل النحو عن المعنى و لكنه عدل عن موقعه ربما بتأثير أولئك اللسانيين ، فأدرج القواعد الدلالية في نموذج المعيار عند الغربيين و كان على رأس من أسهم في وضع أسس هذه الدراسات ماكس مولر (max muller)

و ميشال بريال اللغوي الفرنسي الذي وضع بحثا بعنوان مقالة في السيمانتيك ( essai de sémantique) عام 1879، و قد اهتمت هذه المقالة بدلالة الألفاظ القديمة في اللغات الهندوأوروبية.

و ربما كان من أبرز الأعمال في هذا السياق المؤلف الضخم بعنوان (لغتنا) للعالم السويدي أدولف نورين ( adolf noreen) الذي خصص قسما كبيرا لدراسة المعنى مستخدما مصطلح (somology).

حيث قسم دراسة المعنى إلى قسمين :

1- الدراسة الوظيفية.

## 2- الدراسة الايمولوجية التي تعالج تطور المعنى التاريخي.

و قد تطورت الدراسة الدلالية حديثا ، عند الأوربيين و ظهرت أسماء مهمة مثل : أوجدن و ريتشارد اللذان أخرجوا مؤلفهما الشهير الذي عنوانه (the meaninig of meaning) أي معنى المعنى عام 1923 حيث وضعنا نظرية للعلامات و الرموز. و في الدراسات الأمريكية يمكن أن نذكر أسماء مثل:

بلومفيلد الذي يقال أنه و أتباعه أرادوا إخراج دراسة المعنى من مستويات الدراسة اللغوية و أن (السيمانتيك) — في رأيهم — تقع خارج المجال الواقعي للغة ، أو هي على الأقل أضعف نقطة في الدراسة اللغوية ، مما أدى إلى إهمال المعنى و إن كانت تفسيرات أقوال بلومفيلد لا تعبر بدقة عما أراد.

و ربما لم يرد الاعتبار لدراسة المعنى (الدلالة) في أمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين و خاصة في الاتجاه التوليدي عند تشو مسكي.

و من المؤلفين العرب الذين اهتموا بعلم الدلالة في العصر الحديث الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ) حيث عالج في هذا الكتاب عدة قضايا منها ارتباط الألفاظ بمدلولاتها — أقسام الدلالة — العلاقة بين اللفظ و المعنى — اكتساب الدلالة عند الطفل و الكبار — التطور الدلالي. هذا و كئنا قد أشرنا إلى أقسام الدلالة من قبل.

### التطور الدلالي ومظاهره

انطلاقا من أن قائمة الألفاظ (الكلمات) منتهية مهما كثرت ، و أن المعاني قائمة مفتوحة غير محدودة فان تطور معاني الكلمات أو تغييرها و انتقالها أظهر ما يكون في تطور النظام اللغوي في جميع مستوياته. الصوتية و الصرفية و النحوية التي قد تكون شبه ثابتة إلى حد بعيد، و هذا لا يعني أن التطور في صورة الكلمات غير واقع و لكنه يظل أقل بكثير من التطور في الجانب الدلالي و هو ظاهرة شائعة في كل اللغات و ذلك لأن العوامل الاجتماعية و التغيرات الحياتية التي تواكبها اللغات تفرض ذلك. و لنمثل لذلك بما يلي (ينظر إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ ص124، فيما نقله عن كتاب اللغة لبلومفيلد ص429).

كثيرا ما نطلق اليوم اسم أو لقب (قيصر) على كل حاكم عظيم أو جبار لأنه كان اسم علم لأحد أباطرة الرومان (يوليوس قيصر) و قد اشتق هذا الاسم من فعل لاتيني معناه يقطع أو يشق.

لأن ذلك الإمبراطور قد ولد بعملية شق البطن فأطلق عليه هذا الاسم، و لا زلنا نقول (عملية قيصرية) عن عملية الولادة التي تجرى بشق البطن.

و قد أورد الدكتور إبراهيم أنيس أيضا عدد من الكلمات المستعملة في عاميتنا التي انحدرت من أصل عربي فصيح من ذلك: كلمة (البغدة) التي تعني التدلل، و ربما اقتصر استعمالها على وصف المرأة بهذه الصفة، و قد جاءت من استعمال قديم هو " تبغدد الرجل أي انتسب إلى بغداد و أهلها" ، أي أصبح متحضرا راقيا في سلوكه، لأن نظرهم إلى بغداد حينئذ كانت كنظرة بعضنا اليوم إلى المدن الأوربية.

و من ذلك أن (طول اليد) كان قديما وصفا للسخاء و الكرم ، و أصبح اليوم يعبر عن السرقة. و لعل موضوع الحقيقة و المجاز هو الذي يتصل بهذا التطور الدلالي. و قد وصف القدماء الحقيقة بأنها الدلالة الأصلية للفظ أي دلالة الوضع الأول، و أن المجاز هو المعاني الأخرى التي قد تكون للفظ غير ذلك المعنى الأصلي.

و قد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من أصر على أن الكلام كله حقيقة في حين يرى آخرون أنه كله مجاز بالإضافة إلى من يرى أن بعضه حقيقة و بعضه مجاز.

و الحقيقة أن قضية الحقيقة و المجاز فيها شيء من النسبية، و ربما يكون من الصعب تحديد المعاني الحقيقية الأصلية لأن المعنى ينتقل من الحقيقة (المعنى الأول الوضعي) الذي قد يصعب تحديده إلى معنى آخر على سبيل المجاز و لكنه يستقر فيصبح معنى حقيقيا ثم ينتقل إلى مجاز جديد و هكذا (ينظر أحمد شامية . في اللغة ص156)

و يمكن أن نوجز أهم عوامل التطور الدلالي بما يلي (ينظر إبراهيم أنيس ص135 و مابعدھا) أن الناس يتداولون الألفاظ و يتبادلونها عن طريق الأذهان و النفوس التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد و البيئة الواحدة، و تتكيف الدلالة تبعا لذلك.

و مع اشتراك الناس في معاني الألفاظ المركزية ، إلا أنهم يختلفون في حدودها الهامشية و في ظلالها و ما يكتنفها من ظروف و ملابسات تتغير و تتنوع بتنوع التجارب و الأحداث و لذلك تتم الانحرافات في الدلالة مع توارث الأجيال. و أبرز ما يمكن ذكره من عناصر هذا العامل (الاستعمال) ما يلي:

1. سوء الفهم: فقد يسمع أحد لفظا و يفهم معناه بغير ما يقصده المتكلم ، ثم ينقل هذا الفهم

الخاطئ

و يتكرر و قد يعيش جنباً إلى جنب مع المعنى الأصلي المراد من المتكلم، و يحدث ما يسمى بالمشترك اللفظي....

2. بلى الألفاظ: أو شيء من التطور الصوتي فينتقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى له دلالة مختلفة، ففي كلمة (السغب) تطورت السين إلى تاء، فصارت الكلمة (تغب) و تعني الدرن و الوسخ.

3. الابتذال: الذي يصيب بعض الألفاظ لأسباب سياسية، أو اجتماعية أو عاطفية فكلمة (الحاجب) التي كانت تعني في الدولة العربية الأندلسية (رئيس الوزراء) ثم أصبحت تدل على خادم أو حارس على الباب.

و مما يؤدي إلى ابتذال الألفاظ و انزوائها أن تكون متصلة بمعنى القذارة و الدنس أو الغريزة الجنسية و يستعاض عنها بكلمات أخرى أكثر غموضاً. و من ذلك أيضاً الألفاظ المتصلة بالموت و الأمراض مما يثير الهلع و الخوف في النفوس فتستبعد من الاستعمال و يستعاض عنها بكلمات أخرى أو يكنى عنها .

و نحن اليوم نسمع بعض الناس يقولون عن السرطان (ذاك المرض) كناية ، أو قد يقال عن تسمية ما يكره بالدارجة (اللي ما يتسمى)

أما العامل الثاني فهو الذي يسمى الحاجة، أي الحاجة إلى التجديد و التغيير في معاني الألفاظ، ويتم بقصد و إرادة من قبل الفئة الناهية الموهوبة من الشعراء و الأدباء أو من قبل الهيئات اللغوية الرسمية، كالمجامع اللغوية حيث يتم نقل اللفظ من مجاله المؤلف إلى مجال آخر جديد.

أما دوافع هذه الحاجة فتتمثل في التطور الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي.

مظاهر التطور الدلالي: (للقوف على هذا الموضوع ارجع إلى: أحمد شامية اللغة ص 155 و ما بعدها حيث نقلناه من هناك) غالباً ما تمر التطورات و التغييرات الدلالية بمرحلتين :

1 — مرحلة التغيير الأولي ، أو الابتداء

2 — مرحلة انتشار المعنى أو المفهوم الجديد وتعميمه .

و أهم مظاهر هذا التغيير كما ذكرها الباحثون :

(يمكن الرجوع إلى إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص 152 و ما بعدها).

## 1. تخصيص الدلالة أو تضييقها.

إذ أن هناك ألفاظا تدل على العموم أو على الأجناس فتحدد و تخصص دلالتها باختصارها على نوع معين أو على فرد معين ، حتى تصبح كأنها علم عليه، فالأعلام هي أقصى درجات الخصوص و لعامل ما تتطور دلالة اللفظ من العموم إلى الخصوص و ضيق المجال، فكلمة MEET الانجليزية كانت تعني مجرد الطعام و تعني الآن (اللحم) فقط. و مثل ذلك عندما تطلق الآن - في اللهجة المصرية - كلمة (العيش) على الخبز فقط . و كلمة الحج كانت تعني القصد إلى أي مكان فتخصصت بمعنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة.

## 2. توسيع المعنى أو تعميم الخاص

(عكس الحالة السابقة) ، و هي أقل شيوعا من الأولى. فقد يكون لكلمة ما دلالة محددة . فكلمة (البأس) مثلا كانت خاصة بالحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شدة. و مثال ذلك إطلاق كلمة (الورد) على كل زهر.

و من ذلك أيضا إطلاق بعض الصفات التي كانت خاصة. و كانت علما على بعض الأشخاص على أشخاص اتصفوا بصفاته مثل (عنترة) عند إطلاقها على كل شجاع و قد يرى طفل مصري نورا فيقول: النيل..... و قد يسمى كل الأنهار النيل.

## 3. انتقال الدلالة.

أو تغيير مجال استعمالها بسبب المشابهة بين مدلولين كقولنا: استقبال حار، و صوت عذب . و قد يكون الانتقال لحالة غير المشابهة كما هو في الجاز المرسل فتطلق كلمة (شتاء) على المطر و (الغيث) على العشب.

## 4. انحطاط الدلالة و انحذارها:

قد يكون لكلمة ما معنى ذو بال و أهمية في حياة المجتمع فتفقد هذه المكانة بسبب الشيوع أو كثرة الاستعمال، أو تغير الظروف السياسية و الإدارية و الاقتصادية و العادات و التقاليد. مثال ذلك أن كلمة (الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية رئيس الوزراء، أما اليوم فتعني الحارس أمام أبواب الإدارة.

" و قد كان لكلمة (ثور) معنى شريف، و هو السيد، و ربما ورث العرب في الأدب القديم احترام الثور من الأمم السامية، حيث كان الثور نموذجا لإله القوة و الأصالة و الكرم.

و كان له في أساطيرهم جناحان يطير بهما فجعلوه للسيد مجازا حتى سميت به أعلامهم مثل: حميد بن ثور الهلالي، و سفيان الثوري، و هو من أصحاب الحديث. أما اليوم فقد اقترن الثور بالمعنى السليبي، فهو علامة الحمق و الغباء و البلادة [ينظر إبراهيم السامرائي. (مقال الدلالة بين السلب و الإيجاب) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج37، نوفمبر 1993 ص 68-69].

### 5. رقي الدلالة:

على العكس من السابقة، قد يكون للفظ أو الكلمة دلالة أو معنى منحط أو متواضع ثم يعلو شأنها. فكلمة (القماش) كانت تدل على ما يتناثر من متاع البيت ، أو ما على الأرض من فئات الأشياء، ثم أصبحت تدل على نوع من النسيج المتقن الصنع. و كلمة (السفرة) كانت في الأساليب القديمة تعني بعض الطعام الذي يحمله المسافر، و من هذا المعنى كانت تسميتها، ثم أصبحت تدل اليوم على مائدة لها صفتها و عليها ما عليها.

و نشير هنا إلى أن الكلمة قد يكون لها معنى عظيم في سياق، و وضع في سياق آخر، فكلمة (القلم) التي وردت في القرآن الكريم (ن، و القلم وما يسطرون) لها وقع دلالي في النفس غير كلمة (قلم) في حقل الأعمال المدرسية.